

353308 - ما لا يدخل في سب الدهر وقولهم لهيب أغسطس

السؤال

قرأت أحاديث تنهى عن سب الدهر، وبعد ذلك عندما قرأت كلاماً معيناً احترت، لم أستطع أن أفرق إذا ما كان مما يقصد به الخبر المحض دون اللوم، أم إنه سب للدهر بحد ذاته بسبب الأشياء المكرهه التي حدثت فيه، وأكثر ما حيرني هو وصفه لشهر بالتخبط، وشهر آخر بالضياع، مثال: "ديسمبر، يا آخر ملامح هذا العام، كن لطيفاً، كن مهداً لأحلامنا، أطفئ لهيب أغسطس، وهدى ضياع سبتمبر، وزناعات أكتوبر وتخبط نوفمبر، كن خلاصة لكل أوجاع هذا العام" ، وأرى بأنه من الممكن أن يعود هذا الوصف على حال الناس، وليس المقصود به الأشهر، فما رأيكم؟ أولم يكن أيضاً من الأولى أن يدعو ربه بدلاً عن مخاطبة شهور لا تنفع من دون الله تعالى، كأن يقول: "اللهم إنا نسألك خير ما في هذا الشهر، وخير ما بعده، وننعوا بك من شر ما في هذا الشهر، وشر ما بعده، اللهم اكتب لنا الخير والسعادة والتوفيق فيه، واجعله بداية أجمل الأقدار، وحقق لنا ما نتمنى، وارزقنا من حيث لا نحتسب".

الأجابة المفصلة

أولاً:

جاء النهي عن سب الدهر؛ لأن الدهر هو الزمان وما فيه من حوادث، وهذه لا تملك شيئا، إنما الذي يصرفها هو الله، فمن سب الدهر وعابه، رجع سبه إلى الله الذي يصرف الدهر ويقلبه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤذِنِينِي أَبْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ, وَأَنَا الدَّهْرُ, بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» رواه البخاري (4826)، ومسلم (2246)

وفي رواية لمسلم: «لَا تُسْبِّحُوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

وفي رواية: «لَا تَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ تَا خَنَّةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

وفي رواية: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "يُؤذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا حَيَّةَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا حَيَّةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ أَنْلَهُ وَنَهَاهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبْضَتُهُمْ».

قال النووي رحمه الله: "قالوا: هو مجاز، وسببه: أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها، من موت أو هرم أو تلف ما، أو غير ذلك، فقهوا: "يا خيبة الدهر"، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر؛ فقا، النبي، صل، الله عليه وسلم: "

لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ؟ أي: لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سببتم فاعلها، وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان: فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

ومعنى " فإن الله هو الدهر " أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم " انتهى من " شرح مسلم " (15/3).

ثانياً:

ليس من السب أن يصف الإنسان شيئاً يتعلق بالزمان، دون لوم أو اعتراض، وإنما لمجرد الخبر والوصف، كما لو قال: يوم شديد الحر، أو يوم عصيّب، أو أيام نحسات، أو عام جدب، أو قحط.

ومن ذلك قول لوط عليه السلام: **(هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)** هود/77، وك قوله تعالى: **(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ تَخِيْسُ مُسْتَمِرٌ)** القمر/19، و قوله: **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ)** فصلت/16، ونحو هذا مما فيه وصف أو إخبار عن الشدة والقسوة، ولا يراد به سب اليوم أو ذمه، ففرق بين الإخبار المجرد، وبين إرادة الذم والسب والتنقص.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله: " وسب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يقصد الخبر المغضّ دون اللوم ، فهذا جائز، مثل أن يقول: تعينا من شدة حر هذا اليوم أو بردّه، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: **(هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)** هود/77 .

الثاني : أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر ؛ فهذا شرك أكبر لأنه اعتقاد أن مع الله خالقا ؛ لأنّه نسب الحوادث إلى غير الله ، وكل من اعتقاد أن مع الله خالقا فهو كافر، كما أن من اعتقاد أن مع الله إليها يستحق أن يعبد فإنه كافر.

الثالث : أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنّه محل لهذا الأمر المكره عنه ؛ فهذا محظوظ ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأنّ حقيقة سبّه تعود إلى الله سبحانه؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر ويكون فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السب بكافر؛ لأنّه لم يسب الله تعالى مباشرة " انتهى من " مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين " (10/823).

وسائل رحمة الله: " هل هناك تعارض بين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الدهر فأنا الدهر) وبين قوله في حديث آخر: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها) إلى آخر الحديث ؟

فأجاب : أولاً: الحديث الثاني الذي ذكرت في صحته نظر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا قدر أنه صحيح؛ فإن هذا لا ينافي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الدهر) لأن هذا خبر، والسب يقصد به اللوم والعيوب والعتب على المسبوب . ومعنى كونه خبراً: أن الدنيا ليس فيها خير، لا هي ولا ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم، وفرق بين

الخبر والإنشاء، وأما السب فيه إنشاء، إنشاء اللوم والقدح للمسبوب، وأما الخبر فهو خبر عن حال الشخص أو عن حال الشيء، كقول لوط عليه الصلاة والسلام: (هَذَا يَوْمٌ عَصَيْتُ) هود/77، هو لم يُرد أن يسب هذا اليوم ويقدح فيه، لكنه أراد أن يخبر بأنه يوم شديد عليه، فيجب الفرق بين الإنشاء والقدح والذم وبين مجرد الخبر، وهذا حسب نية الإنسان، لكن الغالب في قول القائل: لا بارك الله في هذا اليوم، وقول القائل: لا بارك الله في الساعة التي أنت بك، هذا في الغالب يراد به السب، فلينتبه الليب للفرق الدقيقة "انتهى من "لقاء الباب المفتوح" (14/39).

ثالثاً:

مخاطبة الشهور على هذا النحو لا حرج فيها ولا يراد منها سؤال الشهر ودعاؤه، ومثله خطاب الأطلال والشجر والجمادات، وإنما يراد به أغراض أخرى كالتحسر والتوجع والشمني والتعجب وغير ذلك.

ثم: العبارات المذكورة لا يظهر فيها سب، وإنما هي وصف يعود بعضه على الأشهر كقوله: "أطْفَلُ لَهِبِيْ أَغْسَطْسُ"، وبعضه على الناس وحالهم في هذه الأشهر من الضياع والنزاع والتخبط، وهو كلام لا قيمة له، وما كان لتنشغل به؛ إذ لا معنى ولا مبني، بل هو كلام ركيك متتكلف؛ فيينبغي تركه على كل حال، والانشغال بما ينفع ويفيد، من القول والعمل.

وبينظر: جواب السؤال رقم: (237968).

والله أعلم.